المحاضرة الرابعة

مراحل الدعوة الإسلامية

مرت الدعوة الإسلامية بمرحلتين رئيستين؛ هما المرحلة السرية والمرحلة الجهرية، وكانت

حوادثهما وتفصيلاتهما على النحو الآتي:

مرحلة الدعوة السرية المرحلة السرية :

يقصد بها تلك المدة التي كان يدعو فيها النبي (صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام خفية، فقد بقي بعدما بعثه الله بالرسالة مدة ثلاث سنوات تقريبا، يتستر في دعوته ويتحاشى الإعلان عن رسالته أمام الرأي العام. لقد استجاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأمر ربه بعد أن أمره بالدعوة عن طريق جبريل (عليه السلام)، فبدأ بدعوة أهل مكة للإيمان بالله وحده والكفر بالأصنام وجميع المظاهر الشركية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت وقد ورثوا عبادتها عن آبائهم وأجدادهم ، لكن دعوته في تلك الفترة كانت سرا ؛ وذلك حذرا من ردّة فعل قريش إذا ما علموا بظهور الإسلام وانتشاره، فقد كانت قريش متعصبة لعبادتها ووثنيتها وأصنامها، فاقتصرت دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) في تلك المرحلة على من كانت تربطه علاقة وثيقة بالنبي (عليه الصلاة والسّلام) حتى يضمن سرية ما دعاه إليه حتى إن لم يُجبه إليه، لذلك يظهر أن أول من آمن بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه المرحلة هم أقرب الناس إليه، وكان أولهم على الإطلاق زوجه خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وأبا بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبي وقاص،

وغيرهم (رضي الله عنهم جميعاً).

كان هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً إذا ما أرادوا الالتقاء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلتقون به سرا، وكانوا إذا ما أرادوا مُمارسة العبادات لجؤوا إلى شعاب مكة حتى لا يراهم أحد من كفار قريش، ولما زاد عدد المسلمين في هذه المرحلة عن الثلاثين ما بين رجال ونساء رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يجعل لهم مكانا خاصا للعبادة بعيدا عن أعين قريش فاختار لهم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان فيها يلتقي بهم فيُرشدهم ويُعلمهم أمور دينهم وكان معظمهم من الفقراء والعبيد والضعفاء الذين ليس لهم شأن في قريش. لقد كان هذا الأسلوب ضروريا للأسباب الآتية : أولا : من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوة، كي لا تتعرض لعمل مسلح يقضي عليها في مهدها. فلو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أعلن عن دعوته فور البعثة لانتفضت قريش وقضت على هذه الدعوة وعناصرها بشكل سريع وحاسم من أول الطريق. ثانيا: هدف من البعثة النبوية القيام بعملية تبليغ شاملة لكل الواقع الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي واستبداله بواقع جديد يستند إلى مبادئ الإسلام وعقائده ومفاهيمه ، لذا لا بد من إتاحة فرصة لتهنية وإعداد الكوادر والقوى التي تستطيع تحقيق هدف كبير مثل هذا. ثالثا : إن مدة المرحلة السرية كانت بمثابة إعداد نفسي وتربية عقيدية وروحية وجهادية لتلك الصفوة والجماعة التي دخلت في الإسلام وآمنت بربها وبرسالة نبيها الأكرم وكان لا بد في هذه المرحلة أن يقوم النبي (صلى الله عليه وسلم) بمثل هذه التربية، التي تمكن من الصمود في وجه التحديات المنتظرة.

مرحلة الدعوة الجهرية

لما انتشر الإسلام في مكة وازداد عدد المسلمين وأصبحت قريش تتحدث به، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) أن يجهر بالدعوة وبما جاءه من الحق، وكان ذلك بعد ثلاث سنوات من بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث جاء في ذلك قول الله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)، كما قال تعالى: وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ] جهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالدعوة تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى، فعمد إلى جبل الصفا حتى وقف عليه، ثم جعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا ؛ لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتُكم أن خيلا بالوادي تريدُ أن تغير عليكم أكنتُم مُصدِّقِي؟ قالوا: نعم، ما جرَّبْنَا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب اتبا لك سائر اليوم، ألِهذا جَمَعْتَنَا؟ فنزلت: تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ثم بعد ذلك بدأ النبي (صلى الله عليه وسلم) بدعوة أهله وقرابته فجمعهم إليه ودعاهم للإسلام، فقال: (يا بني كعب بن لؤي، أنقِذُوا أنفسَكم من النار، يا بني مرة بن كعبٍ، أنقذُوا أنفسَكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذُوا أنفسَكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذُوا أنفسكم مِنَ النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسكِ من النار، فإني لا أملك لكم مِنَ اللهِ شيئًا غير أن لكم رجما سأصلها). ونزل هذا الكلام على قلوب الكفار نزول الصاعقة، فقد أصبحت المواجهة واضحة بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إنه يطلب منهم أن يتركوا الأصنام التي يعبدونها، وأن يتركوا الفواحش، فلا يتعاملون بالربا، ولا يزنون ولا يقتلون أولادهم، ولا يظلمون أحداً، لكنهم قابلوا تلك الدعوة بالرفض، وبدءوا يسخرون من النبي (صلى الله عليه وسلم ، ومن دعوته، فصبر (صلى الله عليه وسلم) عليهم وعلى تطاولهم.

العبر والفوائد من الدعوة الجهرية :

١. الموقف السلبي لعشيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الفترة فيه الرد القاطع على من يحاول تصوير هذا الدين بأنه ثمرة من ثمار القومية ، ويدعون بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يمثل بدعوته أمال العرب ومطامحهم في ذلك الحين .

٢. تباطؤ الناس في الدخول في الإسلام دليل على مدى قوة وتغلل التقاليد في المجتمعات ، وهو الأمر يواجهه الدعاة في كثير من المجتمعات حتى في الشعوب الإسلامية التي تكون بعيدة عن المنهج الحقيقي للإسلام فتنتشر فيها البدع والخرافات ويصعب على الدعاة انتشالهم منها .

٣. أن في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة إشارة إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم عموماً والدعاة خصوصا .

- الأساليب التي اتبعتها قريش في محاربة واضطهاد النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه.

اتخذت قريش أساليباً عدة لمحاربة النبي (صلى الله عليه وسلم) واصحابه ومن هذه الأساليب:

الأسلوب الاول: محاولة منع عمه أبي طالب من نصرته .

وذلك حتى يكفه عن الدعوة، أو يجرده من حمايته، فقد ذهبت مجموعة من أشرافهم إلى عمه أبي طالب ، وقالوا له : إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل

آباءنا ، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ،

فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه

الأسلوب الثاني: التهديد بمقاتلة الرسول (صلى الله عليه وسلم وعمه أبي طالب

مضى رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) يظهر دين الله ، ويدعو إليه، فغضبت منه قريش ، وحض بعضهم بعضا ، ومشوا إلى عمه مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا . والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب الهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك. حتى يهلك احد الفريقين " ، وهنا لما سمع أبو طالب مقالة القوم بعث إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبلغه بالذي قالوه، وطلب منه أن لا يحمله من الأمر مالا يطيق ، وبعد أن ظن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن عمه قد ضعف عن نصرته قال له: (ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته) ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وسلم وقام من عند عمه فلما ولى ناداه عمه فقال: " أقبل يا ابن أخي فلما أقبل قال له : اذهب يا ابن أخي، وظل أبو طالب طوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويحميه ويمتنع عن الدخول في الإسلام فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشيء أبدا .

الأسلوب الثالث: الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه.

حيث اتهموا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باتهامات باطلة منها:

١ -الجنون:

وفي ذلك نزل قوله تعالى: [وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونَ] سورة الحجر : ٦.

٢- السحر : قال الله تعالى : [وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] سورة ص : ٤ . وقد تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن ، فعندما أوشك دخول موسم الحج جمع فريقه من عتاة المجرمين فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا " ، واتفقوا على أن يصفوه بالسحر لأنه يفرق بين الأقارب، ولكن شاء الله أن تصدر العرب من مكة على أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

٣ -الكذب:

قال الله تعالى : [وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] سورة ص : ٤٠

٤ -الإتيان بالأساطير:

قال الله تعالى : وقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصيلا سورة الفرقان :٥.

٥- قالوا إن القرآن ليس من عند الله ، وإنما هو من عند البشر: قال تعالى: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبي مُبِينٌ سورة النحل : ١٠٣

٦- اتهموا المؤمنين بالضلالة :

قال تعالى: [وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ] سورة المطففين: ٣٢.

الأسلوب الرابع: السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي على المؤمنين. قالت امرأة مشركة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ساخرة مستهزئة: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا ؛ فأنزل الله تعالى: [وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سجى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قلى سورة الضحى: ١-٣